مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٧ع٤ ص ص: ٢٠١– ٢٢٦ (٢٠١٩م)
DOI:10.4197/Art.27-4.8

أثر الحركة السنوسية في منطقة الحجاز الشيخ فالح الظاهري
(١٢٥٨هـ /١٨٤٢م – ١٣٢٨هـ/١٩١٠م)

د. منال بنت عواد المريطب
قسم التاريخ ، جامعة الملك عبدالعزيز

المستخلص: تتناول هذه الدراسة أثر الحركة السنوسية في منطقة الحجاز ، والتي تعد إحدى الحركات الإسلامية المؤثرة، ، إذ ساهمت وفق إمكانياتها المتاحة في بناء مجتمع إنساني تتوفر له مقومات ثقافية واقتصادية وفق معطيات ذلك العصر ، ولم تكن الحركة محلية النزعة، بل عمل مؤسسها محمد بن علي السنوسي على أن تكون حركة عربية التأثير واسعة الامتداد، وقد سعت هذه الدراسة إلى تدوين حقبة هامة من تاريخ الحركة السنوسية في الحجاز ، وحاولت إماطة اللثام عن دورها في المجتمع الحجازي وتأثيرها عليه.

فقد حظيت منطقة الحجاز بحكم أهميتها الدينية بمكانة بارزة في تاريخ الحركة السنوسية ، بل إن البداية الفعلية للدعوة السنوسية انطلقت من الحجاز، ففيها بنيت أول زاوية سنوسية ، وهي الزاوية التي بنيت في جبل أبي قبيس ، ثم توالى إنشاء الزوايا السنوسية في الحجاز، وفي بقية الأقطار الإسلامية الأخرى ، وحظيت الزوايا السنوسية بإقبال عدد كبير من الحجازيين من الحاضرة والبادية ، ويعد الشيخ فالح الظاهري من أبرز تلاميذ الزوايا السنوسي، وأصبح فيما بعد من أبرز مشايخها ، وذاع صيته في الآفاق ، وحظي بمكانة علمية مرموقة أهلته للتدريس في مناطق إسلامية عديدة حتى استدعاه السلطان عبدالحميد للتدريس في اسطنبول ، وقد تخرج على يديه عدد من طلبة العلم الذين حملوا راية العلم في العالم الإسلامي .

المقدمة

شهد العالم الإسلامي خلال القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) تدهوراً كبيراً عمّ جوانب الحياة المختلفة السياسية والدينية والثقافية، فالدولة العثمانية صاحبة السيادة على المشرق العربي كانت على درجة كبيرة من الضعف السياسي والإداري ، وعانت من هزائم عسكرية متتالية، وأصبحت الدولة العثمانية أو "الرجل المريض" كما أطلق عليها الأوربيون فريسة سهلة يمكن اقتسام أراضيها بين الدول الأوربية، و نتج عن هذا الضعف

في الوقت ذاته بدأت أوربا تقطف ثمار الثورة الصناعية ، وما أعقب ذلك من ازدهار حضاري وصناعي ، تزايدت معه الأطماع الأوربية في الأراضي العربية ، وكثر الناقمون والمعتدون على الكيان العثماني ، فكانت الفاتحة باحتلال الفرنسيين لمصر عام١٢١٢هـ/ ١٧٩٨م ، وبدأت معها مرحلة التنافس الاستعماري الذي اشتد بين فرنسا وبريطانيا حول مناطق النفوذ في العالم الإسلامي ، وقد تركت الحملة الفرنسية أثراً بالغاً في نفوس العرب الذين شعروا بعجز الدولة العثمانية عن حماية أراضيهم وفقدوا الثقة في قدرتها السياسية والعسكرية.

وقد واكب هذه الظروف العصيبة ظهور عدد من المصلحين الذين حاولوا دعوة الناس للعودة إلى مبادئ الإسلام ، و طالبوا بإصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسية المتردية ، ومن هؤلاء محمد بن علي السنوسي مؤسس الحركة السنوسية .

كان السنوسي يرى أن أي دعوة إصلاحية مناهضة لسيادة الدولة العثمانية وسلطتها كفيلة بإضعاف الدولة العثمانية ، وتحقق أطماع الدول الأجنبية فيها، لذلك دعى لتجنب الاصطدام مع السلطات الحاكمة، مما قد كفل للحركة السنوسية الثبات والاستمرار، والنجاح في تحقيق أهدافها ونتائجها .

عمل السنوسي على نشر دعوته في كافة الأقطار الإسلامية ، وقد ارتكز في بناء وتنظيم حركته على نظام الزوايا ، نظرا لما يحققه هذا النظام من فوائد دينية واجتماعية وثقافية كبيرة ، وقد حظيت منطقة الحجاز بحكم أهميتها الدينية بمكانة بارزة في تاريخ الحركة السنوسية ، بل إن البداية الفعلية للدعوة السنوسية انطلقت من الحجاز ، فأول زاوية سنوسية بُنيت في الحجاز، وهي زاوية أبي قبيس ، ثم توالى إنشاء الزوايا السنوسية في الحجاز، وفي بقية الأقطار الإسلامية الأخرى، فبنيت زوايا سنوسية في ليبيا والجزائر ومصر والسودان وغيرها من الجهات .

وقد لعبت الحركة السنوسية دورا في تاريخ منطقة الحجاز ، ومن هذا المنطلق اخترت دراسة تاريخ الحركة السنوسية في الحجاز ،خاصة وأن هذا الموضوع لم يتطرق إليه الباحثون ولم يحظ بعنايتهم، بل إنّ الحركة السنوسية إجمالا رغم أهميتها وتأثيرها الاجتماعي والسياسي ، إلا أنها لم تحظ بعناية الباحثين بصورة كافية ، علاوة على أن بعض الكتابات الحديثة طالتها يد التشويه والتحريف لتلك الحركة بغرض الانتقاص من قيمتها ، والتقليل من أهمية دورها التاريخي لأغراض سياسية .

وسوف يجيب هذا البحث على عدد من التساؤلات منها :

كيف نشأة الحركة السنوسية في الحجاز ؟ وماهي السمات العامة للزوايا السنوسية الحجازية ؟ ومن هو أشهر تلاميذها في الحجاز ؟

وقد انتظم البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

أولاً : نشأة الحركة السنوسية:

تنسب الحركة السنوسية إلى محمد بن علي أبو عبدالله بن العربي بن محمد بن عبدالقادر بن شهيدة الخطابي الحسيني الإدريسي السنوسي ، وسنوس إحدى قبائل تلمسان بالجزائر ، ولد السنوسي ببلدة مستغانم بالجزائر في ١٢ربيع الأول ١٢٠٢هـ/٢٢ديسمبر ١٧٨٧م، في أسرة امتازت بالعلم والتدين [١]. نشأ السنوسي في بيئة علمية حبّبت إليه العلم وشجعته عليه مما كان له الأثر الأكبر في تعلق السنوسي بالعلم، فنشا محباً للعلم متزوداً من معينه ، مع ما امتاز به من ذكاء وفطنة[٢].

تأثر السنوسي بما رآه من سوء الإدارة العثمانية في بلاده ، والتي دفعت الأهالي للقيام بثورات عديدة ضدهم ، كما عايش أيضا حقبة تدخل الدول الأوربية وتنافسها على بلاده مع العجز العثماني في المحافظة على الدولة الإسلامية ، فضلا على تأثره بعدد من علماء بلدته الذين كانوا ينقمون على تردي الأوضاع وفساد الحكام في بلاده ، ومن أهم أساتذته الذين طالبوا بإصلاح أحوال الحكام الأتراك أستاذه أبي عبد الله سيدي محمد بن القندوز الذي قتل سنة ١٢٤٥هـ- ١٨٢٩م على يد الوالي التركي حسن بك [٣]حينما وجده الأخير خطراً على حكمه، وقد ساهمت تلك الاوضاع في تكوين فكر السنوسي وصياغة منهجه الدعوي القائم على الاصلاح دون الاصطدام بالسلطة الحاكمة. ظل السنوسي يطلب العلم في بلدته حتى بلغ العشرين من عمره ، فقرر بعدها الارتحال لطلب العلم خارج مستغانم ،
واختار الرحلة إلى فاس ؛ نظرا لأنها كانت آنذاك مقرا للعلماء وملتقى لطلاب العلم القادمين من شتى الأقطار الإسلامية لينهلوا من معين جامعها الشهير "جامعة القرويين" [٤].

أقام السنوسي في فاس سبع سنوات من١٢٣٧هـ-١٢٤٤هـ/ ١٨٢٢م-١٨٢٩م ، تلقى العلم على يد علمائها ، وفي فترة إقامته في فاس بدأت الاتجاهات الإصلاحية تظهر في شخصية السنوسي ، وتحددت أفكاره في الدعوة واتضحت معالمها . وقد اهتم السنوسي بالدراسة الفقهية ، وتحديداً دراسة المذهب

---

[١] عُرف والده على السنوسي بالعلم والصلاح والفروسية ، وقد توفي في شبابه حينما كان في الخامسة والعشرين من عمره ،بينما كان عمر السنوسي حينها حوالي سنتين، وبعد وفاة والده كفلته عمته فاطمة والتي كانت من فضليات أهل زمانها متبحرة في العلوم منقطعة للتدريس ،فاعتنت عمته به وأشغلته بالعلم وتحصيله، وقد لازم السنوسي عمته فاطمة حتى توفيت سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م ، وهو في العاشرة من عمره ، وبعد وفاتها كفله ابن عم له هو الشارف محمد السنوسي وكان ذا علم وصلاح، فقام بتعليمه الفقه والحديث والقران الكريم ، كما أخذ عنه اللغة العربية ، انظر: محمد بن علي السنوسي : إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقران ،المجموعة المختارة لمؤلفات الأستاذ الأعظم محمد بن علي السنوسي ، ليبيا : وزارة الأعلام والثقافة ، ١٩٦٨م، ص٧ ، اللجنة العليا لإحياء الذكرى المئوية لوفاة المصلح الكبير الإمام السيد محمد بن علي السنوسي " الإمام محمد بن علي السنوسي في ذكراه المئوية" ، طرابلس الغرب : المطبعة الحكومية ،١٩٥٦م ، ص ٩-١٠، خير الدين الزركلي :الأعلام ، بيروت: دار العلم للملايين ،ج٦، ط١٤، ١٩٩٩م ،ص ٢٩٩ ، نبيه زكريا عبدربه ، الحركات الإسلامية ، الدوحة : دار الثقافة ، ص ٢٣٧، احمد الزاوي : اعلام ليبيا ، بيروت : دار المدار الإسلامي، ط٣، ٢٠٠٣م ، ص٣٤٥-٣٤٦.

[٢] محمد بن علي السنوسي ، الدرر السنية في اخبار السلالة الادريسية ، ليبيا : وزارة الأعلام والثقافة ، ١٩٦٨م .

[٣] أحمد صدقي الدجاني : الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن العشرين ، بيروت: دار لبنان ،ط١، ١٩٦٧م ،ص٣٦ -٣٩، ٤٢ ، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين ،إعداد : مجموعة من الأساتذة ، إشراف : رابح خدوسي ، الجزائر : منشورات الحضارة ،٢٠١٤م ، ص ١٠١ .

[٤] تعتبر من أقدم وأشهر جامعات العالم حينها ، تأسست في القرن الثالث الهجري ٢٤٥هـ-٨٥٩ م في عهد الأدارسة .

المـالكي المنتشـر فـي بـلاد المغـرب لـذلك اعتبـر السنوسـي مـالكيّ المذهب مـع أنـه اجتهد فـي بعض المسائل مخالفاً بها المالكيـة، ويظهـر ذلك جليا فـي كتابــه المســمى بــ" شـفاء الصــدر بــأري المســائل العشـر"[٥] . وقد تعرف السنوسـي علـى الكثيـر مـن الطـرق الصـوفية المنتشـرة فـي فـاس ، نظـرا لأنــها كانت تعد آنذاك مركزاً لفرق صوفية عديدة ، أقامت بها و مُنحت الحرية المطلقة في التعبير عن أفكارها منذ عام ١٢١١هـ /١٧٩٧م ، وذلك بعد سماح الباي سليمان لـبعض طـوائفهم بالإقامـة فـي فـاس و أمّـنهم علـى حيـاتهم ، وفـي فـاس وضـع السنوسـي طريقتـه الخاصة التي عرفت باسمه ، وألف في وصفها كتاباً اسماه (السلسبيل المعين في الطرائق الاربعين) [٦].

وفـي فـاس بـدأ اهتمـام السنوسـي بالحركـات التـي تهدف إلـى إصـلاح الأوضـاع السيئة وتقويم انحـراف الحكام، ففاس التـي امتازت بالإشـعاع العلمـي منحت السنوسي تميزاً علمياً واضحاً ، ونـال بهـا شـهرة بـارزة، فبعـد أن تلقـى العلـوم بهـا تحـول إلـى التـدريس بعـد إجازة أساتذته ، وعين مدرساً بالجـامع الكبيـر بمدينـة فــاس ، وأقبــل عليــه طلبــة العلــم مــن مختلــف المناطق[٧].

وبعد أن أقام السنوسي سبع سنوات في فاس قرر الارتحــال عنهــا وتختلــف الآراء فــي تحديــد تــاريخ مغادرته لفاس وإن كان أصحها هو مغادرته في سنة ١٢٣٥هــ/١٨٢٠م لانســجامه مــع بــاقي تــواريخ رحلاته[٨].

حينمـا غـادر فـاس استذكر السنوسـي – الوصـية القديمة – لعلمائه في الارتحال إلى الحجاز حتى يتم له الجمع بين علم علماء المشرق والمغرب، وليستزيد مـن العلـم علـى يـد علمـاء جـدد ، وفـي الوقـت ذاتـه يتعرف على أحوال المشرق وأحوال المسلمين هناك ، فيقـول الملـك محمـد الإدريسـي فـي ذلـك " وحينمـا امـتلأت مـن المعـارف وطابـه ، وفـاح مـن عـرف الأسرار مطابه، أمره بعض أشياخه بالرحلة للمشرق ليجمـع بـين السـندين ويكمـل النجـاح بمحـل مهـبط الوحي وأنوار سيد الثقلين"[٩] ، والسبب الثاني لرحيله عن فاس يعود إلـى أن الإمـام السنوسـي حينمـا أقـام فـي فـاس واشـتغل بالتـدريس بهـا انجـذب إليـه النـاس ومالت إليه القلوب وتأثر أهلها بدعوته وفكره ، مما دفـع السـلطات إلــى التضـييق عليـه خوفـاً مـن أن يتجـاوز تـأثيره النـواحي الدينيـة حتـى يشـمل النـواحي

---

[٥] السنوسي ، شفاء الصدر بأري المسائل العشر، ليبيا ، وزارة الإعلام والثقافة ،١٩٦٨م ، ص ٢٦، الصلابي ، الحركة السنوسية ، ج١ ، ص ٢٧.

[٦] أحمد بن خالد الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى - الدولة العلوية-تحقيق ولدي المؤلف: جعفر ومحمد الناصري ، الدار البيضاء: دار الكتاب ،١٩٥٦م، ج٨ ،ص ١٠٥ ، الدجاني ، الحركة السنوسية ، ص٤٦، ٤٩ ، شكري ، السنوسية دين ودولة ص٣٢-٣٧ ، علي محمد الصلابي ،الحركة السنوسية في ليبيا، ج١، الأردن : دار البيارق ،١٩٩٩م ، ج١، ص ٢٠- ٢٣ ، الدجاني ، الحركة السنوسية ، ص٥٠، الصلابي ، الحركة السنوسية ، ج١، ص٢٦ .

[٧] محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة ، اكسفورد :مركز الدراسات الليبية ، ٢٠٠٥م ،ص٣١-٣٢، ص٣٥ ، الدجاني، الحركة السنوسية ،ص ٤٩-٥١.

[٨] السنوسي ، ترجمة الملك محمد بن ادريس له في مقدمة كتاب ايقاظ الوسنان ، ص ٨.

[٩] السنوسي ، ترجمة الملك محمد الادريسي في مقدمة ايقاظ الوسنان ،ص ٨ ، الدجاني ، الحركة السنوسية ، ص ٥٦.

السياسية، وقد أشيع عنه رغبته في السلطة مما أثار حفيظة الحكام في فاس، لذلك وجد السنوسي أن إقامته فيها باتت محفوفة بالمخاطر، ولن تحقق ما يصبو إليه من الدعوة والإصلاح فقرر الرحيل(١٠) .

ومن الأسباب كذلك اضطراب الأحوال بفاس ونشوب الثورات فيها أثناء إقامة السنوسي ، مما عكر صفو الحياة العلمية والثقافية به، ففي عام ١٢٣٤هـ-١٨٢٠م ثار أهل فاس على حاكمهم،وتجددت الفتن مرة أخرى في سنة ١٢٣٥هـ -١٨٢٠م، حتى عمت الفوضى في أرجاء فاس، كما وقعت ثورة أخرى بسبب نزاع بين القاضي والمفتي، رفع أمرها إلى السلطان الذي أعفى المفتي عن الفتوى مما أدى إلى خروج جماعة من طلبة العلم على السلطان سليمان القانوني(١١) . ونضيف أخيرا أن السنوسي سار على نهج من سبقه من العلماء، فظاهرة الارتحال كانت سمة بارزة في حياة المصلحين المسلمين، إذ سبقه جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيرهم ، ولاشك أن تلك الرحلات قد أضافت إليهم الكثير من المعارف والخبرات ، وصقلت دعوتهم الإصلاحية بصورة كبيرة.

ثانياً: رحلات السنوسي للحجاز :

توجه السنوسي إلى المشرق ميمماً وجهه صوب الحجاز وفي طريقه مرّ بتونس فطرابلس ، ومنها توجه إلى الأقطار المصرية، فوصل إلى القاهرة في عهد محمد علي باشا "١٢٣٩هـ/١٨٢٤م " والتقى فيها بعلماء الأزهر الشريف كالشيخ الصاوي والقويسني وغيرهم ، واستزاد من علم الأزهر الشريف فدرس في جامعها الذي يعد قبلة التلاميذ وطلبة العلم في أنحاء العالم الإسلامي ،وبعد أن اكتفى من علومه قام بالتدريس فيه ، ناقلاً لتلاميذه أفكاره الإصلاحية ومنهجه الدعوي وجرأته في معالجة المسائل الفقيهة فاجتمع حوله التلاميذ وكثر الأتباع(١٢) .

إلا أن السنوسي اصطدم بعد فترة بعلماء الأزهر واختلف معهم في بعض المسائل ، فقرر السنوسي الرحيل ، وزاد من رغبته في الرحيل عن القاهرة سياسة محمد علي باشا وطبيعتها الاستبدادية التي طالت علماء الأزهر ، علاوة على ذلك فان السنوسي لم ينو الإقامة طويلا في القاهرة ، لأن مقصده كان الحجاز ، لذلك ترك السنوسي القاهرة – بعد أن أمضى فيها عاما واحدا – وتوجه إلى الحجاز وذلك للاستزادة من العلم وأداء فريضة الحج ، كما أن السنوسي كان يطمح إلى لقاء الشيخ أحمد بن ادريس(١٣) ، الذي كان يعد من علماء ذلك العصر،

(١٠) اللجنة العليا، الإمام محمد بن علي السنوسي ، ص ١٠ ، الصلابي ، الحركة السنوسية في ليبيا ، ج١،ص٣٤-٣٥.

(١١) الناصري ، الاستقصا ،ج٨ ، ص١٤٣ ، الصلابي ، الحركة السنوسية في ليبيا ،ج١، ص٢٩ .

(١٢) الدجاني الحركة السنوسية ، ص ٦١ ، اللجنة العليا، الإمام محمد بن علي السنوسي ، ص١١ .

(١٣) أبو العباس أحمد بن ادريس من ذرية الإمام إدريس بن عبد الله الحسني مؤسس دولة الأدارسة في المغرب ، ولد في العرائش على ساحل المحيط الأطلسي ١١٧٢هـ-١٧٥٨م تلقى دروسه في فاس ، و مال إلى التصوف وتعلم على يد شيوخ عصره وبلدته، ثم انتقل إلى مكة سنة ١٢١٤هـ ١٧٩٩م واستقر بها ، وشاع فيها ذكره ، ثم غادرها و نزل صبيا فاستوطنها ، ترك السيد أحمد بن إدريس مجموعات من الأحزاب والأوراد والأدعية منها " روح السنة وروع النفوس المطمئنة "و"

وفي عام ١٢٤٠هـ-١٨٢٥م ، وصل السنوسي إلى مكة المكرمة التي كانت خاضعة لحكم محمد علي باشا وذلك بعد أن قضى ابنه إبراهيم باشا على الدولة السعودية الأولى عام١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م ، فولّى على الحجاز الشريف يحيى بن سرور [١٤] ثم عُزل وتولّى بعده الشريف محمد بن عون [١٥] .

عندما وصل السنوسي إلى مكة اشتغل فيها بتحصيل العلم ودراسة المذاهب الإسلامية المختلفة ، وذلك لأن مكة كانت تضم آنذاك عدداً من العلماء المسلمين المشارقة والمغاربة الذين يمثلون تلك المذاهب ،وكان هدف السنوسي الإلمام بالمذاهب المختلفة والوقوف على أصول تلك المذاهب ،حتى يستطيع إقناع أتباعها بفكره ودعوته[١٦] .

وفي مكة تحقق أمل السنوسي في اللقاء بشيخه أبو العباس أحمد بن ادريس فلازمه وتوثقت علاقته به، وأخذ السنوسي عن أستاذه الحديث والسنة والإلمام ببعض الطرق الصوفية ، وفتح باب الاجتهاد في تفسير بعض الأحكام الشرعية، ثم باشر التدريس بعد إجازة أستاذه ، وبعد فترة اضطر أستاذه الإدريسي إلى مغادرة الحجاز بسبب ما وجده من مضايقة السلطات الحاكمة من جهة ، وبسبب تبنيه لآراء ومسائل خالف بها بعضاً من علماء الحجاز ، ولهذه الأسباب رحل الإدريسي إلى بلدة صبيا [١٧] وتبعه تلميذه السنوسي وأقام معه في صبيا إلى وفاته في عام ١٨٣٥م[١٨] ، وبعد وفاته رجع السنوسي إلى مكة ، وكان قد أسس بها قبيل وفاة أستاذه أول زاوية لنشر دعوته في جبل أبي قبيس [١٩] في عام١٢٤٢هـ - ١٨٢٧م [٢٠] ، ويذكر أن شريف مكة محمد بن عون رفض بنائها وذلك لأنها ترتفع بمقدار طابق عن بناء الكعبة ، ولكن السنوسي نجح في اقناع الشريف ، فوافق على طلبه وعرض عليه المساعدة ولكن السنوسي اكتفى بالحصول على الإذن له بالبناء ، فبنى الزاوية، وهي تشمل مسجد

السلوك " وغيرها من الرسائل ، انظر الزركلي ، الأعلام ، ج١ ، ص ٩٥ ، فواد البستاني : دائرة المعارف ، ج٨ ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص ١٦٧.

[١٤] عينه محمد علي باشا أميرا على مكة خلفاً لعمه غالب بن مساعد عام ١٢٢٩هـ/١٨١٤م ، ولكنه اختلف مع عددا من الأشراف وعلى رأسهم الشريف شنبر بن مبارك ، فأقدم على قتله ،الأمر الذي أدى إلى عزله عن الإمارة عام ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م ، ينظر اسماعيل حقي جارشلي : أشراف مكة وأمراؤها في العهد العثماني ، بيروت ،٢٠٠٣م ،ص ١٥٨-١٦٠.

[١٥] بعد عزل الشريف يحي بن سرور تولى الإمارة وكالة الشريف عبدالمطلب بن غالب ، ولكن السلطات العثمانية أرسلت لوالي مصر محمد علي باشا مرسوم الإمارة خالياً من الاسم ، وأسندت الاختيار لوالي مصر ، وقد وجد والي مصر ان الشريف محمد بن عون المقيم في مصر آنذاك الشخص الأنسب للإمارة ، فأرسله إلى مكة مع مرسوم تعينه ، واغضب هذا الإجراء الشريف عبدالمطلب واشتبك مع خصمه في معركة هُزم فيها، وقد بقي الشريف محمد بن عون أميرا على مكة لمدة ٢٥سنة، ينظر: جارشلي ، أشراف مكة وأمراؤها ، ص ١٦٤-١٦٧ .

[١٦] اللجنة العليا ، الإمام محمد بن علي السنوسي ، ص١٣ .

[١٧]صبيا مدينة في منطقة جازان ،حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية " معجم مختصر" ، ج٢،الرياض : دار اليمامة ، د.ت ، ص ٨٢٩ .

[١٨] ناصر الدين الشريف ، الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية ، الأردن: دار البيارق،١٩٩٩م ، ص٢٧٩ ، عبد ربه ، الحركات الإسلامية ، ص٢٣٨ ، محمد كمال جمعه ، انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الرياض، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز،١٩٨١م، ص٢١٤ ،

Nicola A.Aziaded :Sanusiyah a study of a revivalist movement in Islam,Beirut,Leiden,e.j.brill,1958, p44 .

[١٩] ابي قبيس هو اسم الجبل المشرف على مكة وجهه إلى قعيقعان ومكة ، قيل سمي على اسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى فيه قبة ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، بيروت : دار احياء التراث العربي ، د.ت ج ١، ص٧٤.

[٢٠]هناك اختلاف في تاريخ إنشاء زاوية أبي قبيس فبعض المراجع تذكر إنشاء السنوسي لها كان في حياة أستاذه الإدريسي عام ١٢٤٢هـ-١٨٢٧م حينما أجاز له بالتدريس وذهب إلى هذا الرأي الدجاني ، الحركة السنوسية، ص ٧١ ، والصلابي ، الحركة السنوسية،١٣٨، أما شكري فيذكر في كتابه أنه بناها بعد وفاة أستاذه الإدريسي، ينظر : السنوسية دين ودولة ، ص ٤٥ .

ومدرسة للتعليم ومساكن للطلاب الزائرين، وأقام السنوسي بهذه الزاوية وألقى دروسه ونشر أفكاره فيها، فكثر تلاميذه و أتباعه(٢١).

لم يتسنَ للسنوسي المكوث في الحجاز لفترة طويلة بعد تأسيس زاوية أبي قبيس، فقد اجتمعت عدة عوامل(٢٢) دعته إلى الرحيل عن مكة المكرمة في عام ١٢٥٥هـ /١٨٣٩م والعودة إلى برقة ، من هذه العوامل وفاة أستاذه الإدريسي التي أثّرت فيه نظرا لتعلق السنوسي به ، كما أن اعتماد السنوسي على الاجتهاد واجتماع الأنصار حوله قد أثار حفيظة علماء مكة لمخالفته لآرائهم ، يضاف إلى ذلك أن السنوسي وجد تشجيعاً من أتباعه المغاربة على الرحيل والعودة لليبيا للاستفادة من علمه وفقهه، وقد اجتمع ما سبق مع رغبة السنوسي في العودة إلى موطنه والشوق إلى مسقط رأسه(٢٣). تنقل السنوسي في عدد من المناطق حتى وصل إلى برقة، وكان أتباعه قد أسسوا في الجبل الأخضر الزاوية البيضاء عام١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م ،وهي ثاني الزوايا السنوسية بعد زاوية أبي قبيس، وتعد زاوية البيضاء من أهم الزوايا السنوسية وأكثرها تأثيرا، فموقعها الاستراتيجي يكفل الدفاع عنها وحمايتها، ويعيق الهجوم عليها ، ويعتبر إنشاؤها بداية للحركة السنوسية المنظمة (٢٤).

اختار السنوسي برقة مركزاً لحركته في بلاد المغرب(٢٥)، ومكث فيها مع أتباعه في الزاوية البيضاء ، وتزوج بها من ابنة الشيخ أحمد بن فرج الله الفيتوري ، وأنجبت له ابنيه الإمام محمد المهدي ومحمد الشريف(٢٦) .

أقام الإمام السنوسي عدة سنوات في برقة، ثم قرر بعدها الرحيل و العودة إلى الحجاز مرة أخرى عام ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م ، بعد أن اطمأن السنوسي على استقرار دعائم دعوته في برقة ، ولاشك أن اجتماع المسلمين في مكة لأداء مناسك الحج يتيح للسنوسي

(٢١)محمود عبدالغني صباغ وآخرون: التصوف في السعودية والخليج ، دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث ، ط٢ن ٢٠١١م ، ص١٦٤.

(٢٢) تذكر بعض المراجع أن السنوسي قد التقى في مكة المكرمة ببعض اتباع الدعوة السلفية فأعجب بصفاء تلك الدعوة وخلوها من شوائب الشرع والخرافات واقتفاءها لأثر السلف الصالح ، مما أثار ضده السلطات العثمانية القائمة في الحجاز ، والمعلوم بأن الدولة السعودية الأولى قد سقطت عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م إلا أن الأفكار الإصلاحية للدعوة السلفية ظلت قائمة في المنطقة ، وظل عدد من اتباعها على ولائهم لها ، وكانت بذلك الركيزة التي قامت عليها الدولة السعودية الثانية فيما بعد، انظر : محمد بن عبدالله السليمان :دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي ،الرياض ، وزارة الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد ، ١٤٢٢ه ، ص ٨٣-٨٤ ، محمد جمعه ، انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ،ص ٢١٤ .

(٢٣)شكيب ارسلان : حاضر العالم الإسلامي ، ج٢، دار الفكر ، ط٤،١٩٧٣م ، ص ٣٩٩، الدجاني ، الحركة السنوسية ، ص ٧٢-٧٥ ، اللجنة العليا ، الإمام محمد بن علي السنوسي ، ص ١٤-١٥ ،
A.Aziaded :Sanusiyah ,p127-128

(٢٤) الشريف ، الجواهر الاكليلية ، ص ٢٧٩، ابن عبد ربه ، الحركات الإسلامية ، ص ٢٣٨ ، شكري ، السنوسية دين ودولة ، ص٥٦-٥٧ ، الدجاني ، الحركة السنوسية ، ص ص٨٣-٨٤ .

(٢٥) وذلك لأن برقة تعد أرضاً خصبة لنجاح دعوته ، فهي ملائمة من الناحية السياسية والاجتماعية والاستراتيجية ، فمن الناحية السياسية كان النفوذ العثماني محدوداً بها ؛ وذلك لحرص العثمانيين على حماية نفوذهم في السواحل دون الاهتمام بالمناطق الداخلية مما يتيح للسنوسي الحرية الكافية دون أي عقبات سياسية مع السلطات العثمانية الحاكمة ، أما مميزاتها الاستراتيجية فتتمثل في موقعها في الجهات الداخلية مما يتيح للسنوسي فرصة حمايتها والدفاع عنها ، فضلا على أن موقعها المتوسط في الداخل يجعلها معبرا هاما ويمنحها في الوقت ذاته مساحة صحراوية واسعة ، ويتيح للسنوسي نشر حركته في الجهات التي تليها جنوباً دون أي عوائق ، ويضاف إلى ذلك اثر البيئة الاجتماعية في برقة ودورها في دعم الحركة السنوسية ، فالعناصر البدوية القاطنة في برقة ،وطبيعتها البسيطة ، وكثرة الجهل المنتشر بينهم ، يجعلهم أكثر تقبلاً للحركة ، وأسهل في القيادة ، انظر الدجاني ، الحركة السنوسية ، ص ٨٦-٨٧ .

(٢٦) شكري ، السنوسية دين ودولة، ص ٦١ .

الاتصال بعدد أكبر من المسلمين وعرض دعوته عليهم [٢٧].

امتازت إقامة السنوسي الثانية في الحجاز بالنشاط الدعوي الواضح ، فأنشأ في الحجاز زوايا سنوسية عديدة، وكثر فيها تلاميذه وأتباعه ، وقد حظيت الزوايا السنوسية بقبول بين بعض القبائل الحجازية ، ومنها قبيلة حرب، فانضمت بعض فروع تلك القبيلة الممتدة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة للزوايا السنوسية ، وسعى السنوسيون بدورهم إلى استقطاب أبناء هذه القبيلة لموقعها ونفوذها الواضح في تلك الجهات، حتى أن الموكب السنوسي للحج المسمى "ركب الإخوان " يمر سنوياً في جهات قبيلة حرب بين مكة والمدينة بسلام دون أي حوادث تذكر، إذ يحظى بحماية هذه القبيلة[٢٨]،كما انضم عدد من أبناء قبيلة بني حارث لتلك الزوايا[٢٩].

بالإضافة إلى زاوية أبي قبيس في مكة ، أنشأ السنوسي زوايا في بقية المناطق الحجازية الأخرى، فالزاوية الحجازية الثانية التي أنشئت بعد زاوية أبي قبيس كانت زاوية الطائف، وقد أسسها الإمام السنوسي مابين عامي ١٢٥٤هـ-١٢٥٥هـ /١٨٣٧م- ١٨٣٨م خلال إقامته الصيفية بها على سفح جبل ابن منديل[٣٠] ، ،وقد أقبل عليها الكثير من أهالي الطائف ، ونهلوا من علومها، ولعل من أهم طلاب السنوسي بها الشيخ محمد البكري وأخوه أحمد بن صادق البكري ، والشيخ حامد بن محمد غانم خيره،كما بنى زاوية أخرى في المدينة المنورة عام ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م في منطقة الكاتبية [٣١]، وزاوية في كل من جدة [٣٢]وينبع البحر وينبع النخل[٣٣]،وهناك زوايا سنوسية أخرى أنشئت في بقية

---

(٢٧) شكري، السنوسية دين ودولة ، ص٦١-٦٢ ، ارسلان ، حاضر العالم الإسلامي ،ج٢، ص ١٤٠-١٤١ .

(٢٨) كرستيان سنوك هورخرونيه :صفحات من تاريخ مكة المكرمة ،ترجمة: علي عودة الشيوخ، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز،١٤١٩ ،ج٢،ص ٣٧٥، محمد صادق باشا: الرحلات الحجازية، بيروت: بدر للنشر،١٩٩٩م،ص٣٣٤،٢٠٤، صباغ ،التصوف ،ص ١٦١.

(٢٩) الصلابي ، الحركة السنوسية ، ص ٧٩ .

(٣٠) يطلق عليه اليوم مسجد السنوسي أو مسجد الربع ، وتم تجديده مؤخراً ،والجدير بالذكر أن حسن بن علي بن يحيى العجيمي ذكر في كتابه إهداء اللطائف من أخبار الطائف عند حديثه عن مساجد الطائف : " ومنها مسجد الربع المشرف على السلامة، وهو أحد المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم " و واللافت للانتباه أن العجيمي توفي عام ١١١٣هـ أي قبل تأسيس زاوية الطائف بأكثر من قرن ، وإنما سمي هذا المسجد بمسجد السنوسي وذلك (كما يذكر سليمان بن صالح آل كمال في كتابه) لأن السنوسي قد بنى زاويته بالقرب منه ، وقام بالتدريس فيه والاهتمام به ، لمزيد من التفصيل انظر : حسن بن علي بن يحيى العجيمي : إهداء اللطائف من اخبار الطائف تحقيق : علي محمد عمر ،بورسعيد : مكتبة الثقافة الدينية ،١٩٩٦م ص ٦٢ ، سليمان بن صالح آل كمال : مساجد الطائف داخل السور تاريخ عمارتها ودورها العلمي ، الطائف : مكتبة المعارف ، ط١ ، ١٩٩٥م ، ص ٣٥-٣٦ .

(٣١) مسجد صغير في حي الكاتبية ، انظر رسالة في وصف المدينة لعلي بن موسى المنشورة في كتاب رسائل في تاريخ المدينة، تقديم حمد الجاسر ، الرياض : دار اليمامة ، ١٣٩٢هـ، ص١٧ ، أحمد ياسين أحمد الخياري : تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا، تعليق : عبيدالله محمد كردي ، ط٤، ،المدينة المنورة ، ١٩٩٣م ، ص ١٦٠ ، ملحق (٢) .

(٣٢) كانت زاوية و مسجد السنوسي في جدة حارة اليمن بالقرب من المستشفى العام ، وقد زيلت مع بيوت عدة خلال الاصلاحات التي مرت بها هذه المنطقة ، انظر ملحق (٣) .

(٣٣) تقع ينبع على ساحل البحر الاحمر، وتعد ينبع من أهم المدن الحجازية ، فهي الميناء المهم الثاني على البحر الأحمر بعد مدينة جدة، وسميت ينبع لكثرة الينابيع والعيون فيها؛ فقد ذكر أنه كان فيها مائة وسبعون عيناً ، وقد عرف الجزء الواقع على الشريط الساحلي للبحر الأحمر بينبع البحر "الميناء" لموقعها، وتمييزاً لها عن ينبع النخل ،التي تقع في الداخل إلى الشرق منها ، وسميت بينبع النخل لكثرة النخيل بها فهي تمتاز بخصوبة تربتها وكثرة مزارعها ووفرة العيون فيها ، انظر : الحموي، معجم البلدان، ج ٤ ، ص٥١١ ، أيوب صبري باشا، موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، ، القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٤م، ج٥ ، ص ١٤٧، محمد احمد الرويثي، المرافق الطبيعية على الساحل السعودي الغربي، المدينة المنورة: دار الواحة العربية، ط٣، ١٩٩٧م،ص ٣٢٥-٣٢٧ ، انظر ملحق (٤) .

المدن الحجازية كزاوية ضبا [٣٤] ، وزاوية بدر [٣٥] وشيخها محمد الغماري ، وزاوية الصفراء[٣٦]، وزاوية الحمراء[٣٧]، وزاوية رابغ[٣٨] ، وزاوية العيص[٣٩]، وزاوية صبح [٤٠] ، وكان لكل زاوية نشاط دعوي واضح[٤١] .

ومما ساعد السنوسي على ازدهار الحركة السنوسية وكثرت زواياها في الحجاز تولي الشريف عبدالمطلب بن غالب إمارة مكة ، وقد ارتبط هذا الشريف بعلاقة جيدة بالإمام محمد السنوسي ، وكان يحضر في بعض الأحيان مجالسه العلمية قبل توليه الإمارة ،وعندما تولى الإمارة قدم للسنوسيين مساعدات جلية ، فأقطعهم أرضا واسعة قرب زاوية أبي قبيس ، بالإضافة إلى عدد من الأراضي أوقفها للزوايا السنوسية في كل من المدينة المنورة وجدة والطائف، وسعى لدى السلطان العثماني عبد المجيد بن محمود لإعفاء الزوايـــا السنوسية من الضرائب الحكومية ، ونجح في إصدار فرمان من السلطان بذلك [٤٢] .

لم يقتصر نشاط الامام السنوسي في الحجاز على إنشاء الزوايا والتعليم بل ألّف عدداً من الكتب الفقهية منها كتاب " بغية المقاصد وخلاصة الراصد" المسمى بالمسائل العشر، وكتاب " السلسبيل المعين " و" إيقـــاظ الوسنان " وكتاب " الدرر السنية في أخبار السلالة الادريسية "، كما حرص السنوسي على أن يحجّ في كل عام أثناء إقامته بالحجاز وذلك حتى يلتقي بالحجاج القادمين من مختلف بقاع العالم الإسلامي ، وينشر بينهم دعوته ومبادئه الفكرية [٤٣].

مكث السنوسي ثماني أعوام في الحجاز، ثم قرر العودة إلى برقة عام ١٢٧٠هـ-١٨٥٤م ويُذكر أن سبب مغادرته هو سوء علاقة شريف مكة عبدالمطلب بن غالب بالدولة العثمانية ، وعدم رضوخه لأوامر السلطات العثمانية ومحاولته الاستقلال عنها، وفي الوقت ذاته ارتبط السنوسي بصلات طيبة مع هذا الشريف ، لذلك رأى السنوسي أنه من الأنسب له مغادرة الحجاز حتى لا يحدث أي احتكاك بينه وبين السلطات العثمانية بسبب تلك العلاقة ، خاصة وأن السنوسي كان

[٣٤] ضبا : بلدة تابعة لإمارة تبوك ،الجاسر ، المعجم الجغرافي ، ج٢ ،ص ٩١٢ ، انظر ملحق (١) .

[٣٥] بدر: الموضع الذي حدثت فيه معركة البدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة ، وقد أصبحت بلدة تتبعها قرى كثيرة بمنطقة المدينة المنورة ، الجاسر ، المعجم الجغرافي ، ج١، ص ٢٦٤ ، انظر ملحق (١) .

[٣٦] الصفراء : قرية تُعرف اليوم باسم الواسطة ، انظر عاتق البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، مكة: دار مكة،١٩٨٢م ، ص١٧٦ .

[٣٧] الحمراء : من قرى بدر في منطقة المدينة المنورة ، في واد يدعى الحمراء ، الجاسر ، المعجم الجغرافي ، ج١،ص٤٧٨.

[٣٨] رابغ : تقع بين الأبواء والجحفة ، فيها إمارة من إمارات منطقة مكة المكرمة ، وتتبعها قرى عديدة، الجاسر ، المعجم الجغرافي ، ج٢ ،ص٦١٣ ، انظر ملحق (١).

[٣٩] العيص: وادي بين المدينة المنورة والبحر ، انظر : البلادي: معجم المعالم الجغرافية ، ص ٢١٩.

[٤٠] صبح : بلدة تقع في إمارة مكة المكرمة ، الجاسر ، المعجم الجغرافي ، ج٢ ،ص ٨٢٨ .

[٤١] ارسلان ، حاضر العالم الإسلامي ،ج٢ ،ص ١٤١، ص ٤٠٧، عبدالمالك بن عبدالقادر بن علي الطرابلسي ، الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية " مختصر" تصنيف صلاح عبدالعزيز العمامي ، الجزء ٧ من القسم الأول ، الحركة السنوسية ، ص ٨٩-٩٠ ،

Knut S. Vikor :Sufi and scholar on the desert edge: Muhammad b. ‘Ali al-Sansui and his brotherhood, England :northwestern university press,1995, p162-165,173-175,

[٤٢] الطرابلسي ، الفوائد الجلية " مختصر" تصنيف العمامي ، الجزء ١٢ من القسم الأول .

[٤٣] الدجاني ، الحركة السنوسية ،ص ٨٦-٨٧ .

يتحاشى التصادم معها ، ويسعى لتجنب أي اتصال بالقوى السياسية لأنه يدرك أن ذلك سوف يجرّ عليه وعلى دعوته الكثير من المتاعب ، ومن جهة أخرى فإن مدة غياب السنوسي قد طالت عن ليبيا، فافتقده أهلها، ورحلت إلى الحجاز وفودا ليبية عديدة تقنع السنوسي بالعودة معهم ، وأمام تلك الظروف غادر السنوسي الحجاز، بعد أن أناب عنه محمد بن ابراهيم الغماري [٤٤] .

أقام السنوسي في زاوية الجغبوب والتي أصبحت مقر السنوسية الأول في ليبيا، وبعدها بدأ السنوسي يشعر باعتلال في صحته حتى وافته المنية في شهر صفر ١٢٧٦هـ-١٨٥٩م [٤٥].

ثالثاً : أهمية الزوايا السنوسية الحجازية ودورها:

تعد الزوايا السنوسية الأداة العملية للدعوة السنوسية، والجدير بالذكر أن نظام الزوايا لم يظهر مع الحركة السنوسية، إنما ظهر منذ فترة مبكرة فقد استعانت الطرق الصوفية بهذا النظام، وإن اختلفت معها في المعنى، فالزاوية الصوفية تعني المكان الذي ينفرد فيه أتباع الطرق الصوفية بأنفسهم، ويتقربون لله بالعبادة ليلاً ونهاراً، معتزلين الناس ومتوكلين على الله في رزقهم ، أما الزوايا السنوسية فقد اختلفت عنها من حيث الموقع والوظيفة والتنظيم[٤٦] ، فالزوايا السنوسية كما وصفها بريتشارد ايفانز في كتابه "سنوسيو برقة "كانت عبارة عن "مدارس، ومحطات قوافل، ومراكز تجارية، ومراكز اجتماعية، وحصوناً، ومحاكم، ومصارف نقدية، ومستودعات، وملجأ للفقراء، ومواطن حمى، ومدافن"[٤٧] .

إن الزوايا السنوسية في الحجاز لم تحظ باهتمام كاف من الباحثين ، فالمعلومات المدونة عنها شحيحة ولا تعطي صورة وافية للدور الثقافي والاجتماعي الذي لعبته في تاريخ الحجاز خلال تلك الحقبة، لذلك ارتأت الباحثة استنطاق نشاط وأهداف الزوايا السنوسية المغربية ومقارنتها بالزوايا السنوسية الحجازية من خلال تحليل المعلومات المتاحة .

١- موقع الزوايا السنوسية :

يمتاز موقع الزوايا السنوسية في بلاد المغرب العربي بصفات سياسية وتجارية وإستراتيجية ، فمن الناحية السياسية نجد أن الزوايا تنتشر في الداخل أكثر من انتشارها في الساحل، وذلك يعود إلى أن النفوذ العثماني يتركز في الساحل أكثر، لذلك أقيمت هذه الزوايا في الداخل تحاشياً لأي صدام قد يقع بين السلطات العثمانية والسنوسية، ويمتاز موقع هذه الزوايا بدقة الاختيار فهي تبنى عادة على مناطق مرتفعة، تمكن سكانها من الدفاع عنها عند التعرض

---

[٤٤] أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، القاهرة : المطبعة الخيرية ،١٣٠٥هـ ، ص٣١٧-٣١٨ ، الدجاني ، الحركة السنوسية، ص ٩٥-٩٦ ، جارشلي : أشراف مكة وأمراؤها ، ص ١٧٠-١٧٥ ، الصلابي ، الحركة السنوسية ، ص٨٦ .

[٤٥] الشريف ، الجواهر الإكليلية ، ص٢٨٥ ، الزاوي ، اعلام ليبيا ، ٣٤٦ .

[٤٦] الصلابي ، الحركة السنوسية في ليبيا ، ص١٢١-١٢٣ ، رأفت الشيخ ، في تاريخ العرب الحديث ، القاهرة : دار الثقافة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٢م ، ص ٢٤٣ .

[٤٧] ايفانز بريتشارد : سنوسيو برقة ، ترجمة : عمر الديراوي أبو حجلة ، ليبيا : مكتبة الفرجاني ص ٢٩ -٣٠ .

لأي خطر خارجي، ويمتاز إنشاؤها بالدقة والتنظيم ، فالزوايا تبنى خلف بعضها بمسافة معينة حتى إذا تعرضت الزوايا الأمامية للهجوم انتقل سكانها إلى الزوايا الخلفية وهكذا ، وهذا التنظيم يجعل منها خطوط دفاعية متتالية [٤٨].

كما أن لموقعها أهمية تجارية وإستراتيجية فقد أنشئت تلك الزوايا على طرق التجارة المشهورة آنذاك، الأمر الذي أدى إلى تنشيط التجارة وازدهارها، حيث ارتبطت ثروات البلاد الاقتصادية بالزوايا، كما لعبت الزوايا دوراً هاماً في تشجيع تجارة القوافل التي تعتبر عصب الاقتصاد في تلك الحقبة، ولا يعني ذلك قيام الزوايا بعمل تجاري بل إنها كانت تعد محطات للتجار المتنقلين من الشمال الأفريقي إلى الجنوب ، كما تعمل على تنظيم العلاقة بينهم[٤٩] .

وعند تحليل تلك المعلومات ومقارنتها بموقع الزوايا السنوسية في الحجاز نجد أن موقع تلك الزوايا قد انقسم إلى قسمين ، القسم الأول زوايا أنشئت في أهم المدن الحجازية العريقة كمكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة ، فإذا كان السنوسي يتحاشى الاحتكاك مع السلطات العثمانية في بناء زواياه في المغرب ، إلا أننا نجده في الحجاز يبني هذه الزوايا في قلب المدن الحجازية ، والسبب في ذلك يعود إلى أن علاقته جيدة اجمالاً مع أشراف الحجاز، وقد حصل على إذن شريف مكة محمد بن عون في بناء الزوايا السنوسية بها .

أما القسم الثاني من الزوايا الحجازية فالمتتبع لموقعها يلحظ بناء معظمها على طريق الحج بامتداد الشريط الساحلي كزاوية ضبا واملج والوجه ورابغ والليث وينبع[٥٠] ، وذلك لأن تلك المدن تعد محطات هامة لقوافل الحج ، مما يتيح للسنوسي فرصة الاتصال ونشر أفكاره بين أكبر عدد من المسلمين القادمين للاماكن المقدسة .

والجدير بالذكر أن موقع الزوايا الحجازية أتاح للسنوسي فرصة نشر أفكاره لدى طائفة حجازية كبيرة تشمل فئتين الأولى هم السكان المحلين من أهالي الحاضرة والبادية ، والفئة الثانية تشمل المجاورين والمهاجرين الذين قدموا من أقطار إسلامية مختلفة رغبة في شرف المجاورة و طلب العلم في الحرمين الشريفين .

بالإضافة إلى هؤلاء فان الحجاز تستقبل وفود سنوية من الحجاج والمعتمرين الذين يؤدون مناسكهم ويغادرون عائدين إلى أوطانهم ، وإذا ما نجحت الزوايا السنوسية في استقطابهم أصبحوا سفراء ودعاة لها في أوطانهم ، ومن المعلوم أن منطقة الحجاز اجمالاً بحكم اشتمالها على الحرمين الشريفين ،

---

[٤٨] الشريف ، الجواهر الإكليلية ، ص٢٨٥ ، الزاوي ، اعلام ليبيا ، ٣٤٦ . الصلابي ، الحركة السنوسية في ليبيا ، ص١٢٦-١٢٨، الشيخ ، في تاريخ العرب ،٢٤٣-٢٤٤ ، حسين مؤنس : تاريخ المغرب وحضارته ،ج٣ ، بيروت :العصر الحديث ،ط١، ١٩٩٢م ،ص ٤٤٣ ، مهدي رزق الله أحمد : حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي افريقية قبل الاستعمار وأثارها الحضارية ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص ١١٣ .

[٤٩] لمزيد من التفصيل عن محطات قوافل الحج ، ينظر محمد صادق باشا ، الرحلات الحجازية ، ص ١٥٥-١٥٧ ،ص ١٩٨، ٣٥٣-٣٥٤ .

[٥٠] انظر ملحق (١) .

وقدوم قوافل الحج إليها تحظى بنشاط تجاري جيد مما حقق لها دخلا لا باس ، ولا يخفى أن الزوايا السنوسية الواقعة على طريق الحج أو الواقعة في أراضي المدن الحجازية الكبرى قد استفادت من تلك المزايا الاقتصادية .

٢–وظائف الزوايا السنوسية :

تؤدي الزوايا السنوسية وظائف متعددة دينية وتعليمية واجتماعية واقتصادية وعسكرية ، فأما طبيعتها الدينية فتمثلت في التطبيق العملي لأحكام الإسلام ومبادئه، كما أنها قامت بتعليم القران الكريم والعلوم الدينية والروحية ، كما اعتبرت تلك الزوايا مراكز للفتوى ، ودار لضيافة المسافرين ، ومجلساً لحل المنازعات بين الناس نظراً لوجود عدد كبير من العلماء والمفتين بها [٥١] .

كما أدت الزوايا دوراً تعليميا واجتماعيا حتى أنها شُبهت بالمدارس والمراكز الاجتماعية ، فقد كان الأطفال يتعلمون في الزوايا القرآن الكريم والقراءة والحساب وما أن يميز الطفل حتى يرسله أهله إلى الزوايا الكبرى كزاوية البيضاء وزاوية الجغبوب، حيث يتعلم فيها العلوم الدينية المختلفة من تفسير وحديث وفقه وأصول وتوحيد، بالإضافة إلى النحو والصرف والبلاغة والأدب، كما يتعلمون فيها الحرف والصناعات اليدوية كالحدادة والنجارة والزراعة وغيرها، ومن جهة اخرى فقد عمل السنوسيون على القضاء على الخلافات بين القبائل ، مما ساهم في إرساء الأمن في الزوايا وما حولها[٥٢].

وقد قامت الزوايا الحجازية بتأدية تلك الوظائف ، فلكل زاوية نشاط دعوي واضح ، وأبرز مثال لذلك زاوية أبي قبيس ، فقد بنى فيها السنوسي مسجد ومساكن للزوار والمسافرين ، ومدرسة للتعليم، وكان السنوسي في بداية الأمر يتولى بنفسه مهمة التدريس بها ، واجتمع فيها عدد كبير من طلبة العلم، اما الدروس فمقسمة إلى قسمين: قسم للمبتدئين يتعلمون فيه القرآن الكريم، والقراءة والحساب ، وقسم لمن قطعوا شوطاً في طلب العلم الشرعي.

ولم تنصب وظائف الزوايا الحجازية على التعليم فحسب بل سعت إلى تعليم مرتاديها الحرف والصناعات حتى تكفل لهم دخلا اقتصادياً واستقراراً اجتماعياً ، فقد كان السنوسي يوجه طلبته بعد الانتهاء من طلب العلم إلى ضرورة تعلم الحرف والعمل لكسب الرزق ، وعدم الركون إلى الراحة والبطالة ، حتى أضحت زاوية أبي قبيس وغيرها من زوايا الحجاز مراكز للعلم والعمل، ويزداد عدد الوافدين اليها في موسم الحج ، كما كانت تلك الزوايا محطات لضيافة المسافرين المارين بها، فزاوية جدة على سبيل المثال كانت مهمتها استقبال

---

(٥١) إبراهيم رفعت باشا ، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، ج٢ ، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصري ، ١٩٢٥م ، ص ٣٨٢ ، الشريف ، الجواهر الاكليلة ، ٢٨٣ ، الصلابي ، الحركة السنوسية في ليبيا، ص ١٣٠، اللجنة العليا ، الإمام محمد بن علي السنوسي، ص ٤٩ـ٥٠ .

(٥٢) هنري حبيب ، ليبيا بين الماضي والحاضر ، ترجمة شاكر إبراهيم ، ط١، ليبيا : المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والمطابع ،١٩٨١م ، ص٦٧ ،الشريف ، الجواهر الاكليلية ، ص٢٨٣ ، الشيخ ، في تاريخ العرب ، ٢٤٨ .

وضيافة الوافدين لمنطقة الحجاز من السنوسيين وغيرهم ، وتوفير المسكن والمأكل لهم مجاناً [٥٣] .

ومن الملاحظ أن الزوايا السنوسية في المغرب كان لها نشاط عسكري تمثل في تدريب أتباعها على فنون القتــال والفروسية، وصـناعة الأسلحة والذخــائر حتى يكونوا مستعدين لأي عدوان خارجي، وقد نجحت هذ الزوايا في مواجهة الخطر الفرنسي المتقدم نحو ليبيا ، ثم مقاومة الاحتلال الايطالي في الأراضي الليبية، والدليل على نجاح رسالتها العسكرية هو صمود السنوسيين في كفاحهم ضد الاحتلال لأكثر من عشرين سنة[٥٤] ، ولم نجد معلومات تشير إلى النشاط العسكري في زوايا الحجاز، وقد يكون مرد ذلك استقرار الأحوال السياسية بالحجاز، وانعدام الأطماع الخارجية بها،وبالتالي عدم حاجة السنوسيين لتدريب أبناء المنطقة على الفنون العسكرية .

٣- التنظيم الإداري للزوايا السنوسية الحجازية:

يمتاز التنظيم الإداري في الزوايا السنوسية ببناء هرمي وتنظيمي دقيق ، فالسلطة تتركز في يد شيخ الزاوية الذي يسمى "المقدم "، وهو الذي يتولى شئون الجماعة المستقرة في الزاوية، ويفصل في الخصومات ، ويتولى خطبة الجمعة، ويليه الوكيل وهو المسئول عن الأمور الصادرة والواردة في الزاوية، كما يشرف على الأمور الاقتصادية، وآغا لجمع الزكاة ، وهناك إمام المسجد والمأذون الشرعي للزاوية، وهيئة للتعليم بها [٥٥] .

وممن تولى إدارة الزوايا الحجازية الشيخ عبدالله التواتي، وهو أول من تولى إدارة زاوية أبي قبيس بعد السنوسي، كما تولى مشيختها مصطفى الغماري، وحامد غانم المكاوي، وعلى حامد، والشارف حامد، والصادق السنوسي حامد[٥٦] . أما زاوية المدينة المنورة فقد تم إنشاؤها عام ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م، وكان أول شيخ لها العلامة محمد الشفيع ، وممن تولى مشيختها العلامة مصطفى الغماري ، ومحمد عبدالله الزوي، وعبدالله فركاس، وقد تولى الشيخ ابراهيم الغماري إدارة زاوية الطائف ، وبعد وفاته تولى الشيخ حامد بن محمد خيره إدارة الـزاوية، واستمر في منصبه حتى وفاة السنوسي، ثم عينه محمد المهدي مسئولا عن زاوية أبي قبيس وبقي في منصبه حتى وفاته ١٣٠٣هـ-١٨٨٦م ، وخلفه ابنه محمد في إدارتها، وقد بذل محمد بن حامد الملقب بـ محمد السنوسي جهداً كبيراً في تطوير الزوايا السنوسية في

---

[٥٣] ارسلان ، حاضر العالم الإسلامي ،ج٢ ،ص ١٤١، عبدالمالك بن عبدالقادر بن علي ،الجزء ٧ من القسم الأول ، مقدمة مختصر الفوائد الجلية ، الدجاني، الحركة السنوسية ، ص ٨٩-٩٠ ،

Knut S. Vikor :Sufi and scholar on the desert edge, p162-165.

[٥٤] الشريف ، الجواهر الاكليلية ، ص٢٨٤ ، الشيخ ، تاريخ المغرب ، ص٢٥٠ ، بريتشارد ، سنوسيو برقة ، ص ٣١-٣٢ .

[٥٥]نقولا زيادة : أفريقيات ، الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ص ٢٥٠-٢٥١، ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ج١، ص ٢٩٧-٢٩٨ .

[٥٦] ارسلان ، حاضر العالم الإسلامي ،ج٢ ،ص ١٤١، الطرابلسي ،الجزء ٧ من القسم الأول ، مقدمة مختصر الفوائد الجلية ، الدجاني، الحركة السنوسية ، ص ٨٩-٩٠ ،

Knut S. Vikor ,Sufi and scholar on the desert edge,1995, p162-165.

الحجاز، ووسع من عدد الأوقاف الملحقة بها وبغيرها من الزوايا في جدة ومكة والطائف ، وممن تولى مشيخة زاوية الطائف عبدالمالك الرسي السنوسي[٥٧].

ومن هذا يظهر أن الزوايا السنوسية كانت منظمة وغير عشوائية ، ولها قيادة مركزية ومركز دعوي قائم بذاته، كما أن الإطار التنظيمي فيها يمثل براعة في تنظيم العمل بصورة فاقت روح العصر الذي ظهرت فيه .

ومن الملاحظ أن الزوايا السنوسية بالحجاز قد حظيت بمكانة واضحة بين الحجازيين ، وتقديرهم للسنوسي قد استمر حتى بعد وفاته ، فقد كان الحجازيون يحرصون على حضور الاحتفال السنوي الذي تقيمه زاوية أبي قبيس في ليلة الثاني عشر من شهر رجب تخليداً لذكرى وفاة المؤسس السنوسي ، ويبدأ الحفل السنوي بالأذكار وقراءة سيرة الشيخ السنوسي، وفي الصباح يبدوا في ذبح الخراف وإقامة الولائم للحاضرين ، وقد استمر هذا الاحترام في نفوس الحجازيين إلى العقود اللاحقة [٥٨] .

وقد ازدهرت السنوسية في الحجاز وازداد أتباعها بصورة مستمرة حتى أنه في مطلع القرن الرابع عشر الهجري/أواخر التاسع عشر الميلادي أصبح لها العديد من الاتباع في مكة المكرمة وما حولها من القرى [٥٩] .

ومن أشهر التلاميذ الذين تخرجوا من الزوايا السنوسية بالحجاز الشيخ فالح الظاهري والذي اصبح فيما بعد أحد أشهر مشايخ السنوسيين الحجازيين .

رابعاً : الشيخ فالح الظاهري (أنموذجا) لتلاميذ الزوايا السنوسية في الحجاز :

١- نسبه ونشأته :

أنجبت الزوايا السنوسية عددا من التلاميذ الحجازيين الذين تعلموا فيها ، ومن أشهر أولئك العالم المحدث فالح بن محمد بن عبد الله بن فالح بن عبدالله الظاهري[٦٠] ،الذي يكنى بأبي النجاح ،وقيل أيضا يُكنى بأبي اليسر، ويرجع نسبه إلى ذوي بدوي من قبيلة الظواهر وهي فرع من قبيلة حرب الحجاز[٦١]، ولد الشيخ فالح في وادي الصفراء في السابع من شهر رجب عام ١٢٥٨هـ /١٨٤٢م[٦٢] .

كان والده يعمل في بيع إنتاج البادية من سمن وفحم ودباغ وغيرها في أسواق المدينة المنورة ، وقد عرف والده بالتقوى والصلاح ، وكان ملازماً لتلاوة القران الكريم ، وحريصا على تعليم ابنه العلوم الشرعية ، فما أن بلغ فالح سن التعليم حتى أدخله

---

[٥٧] عبدالله الغازي المكي : إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام ، تحقيق : عبدالملك بن دهيش ،ج٦، مكة المكرمة : مكتبة الاسدي،٢٠٠٩م، ص٤٢٢- ٤٨٥-٤٨٦، ارسلان ، حاضر العالم الإسلامي، ج٢ ، ص٤٠٧، الطرابلسي ،الجزء ٧ من القسم الأول ، مقدمة مختصر الفوائد الجلية ، الدجاني ، الحركة السنوسية ، ص ٨٩-٩٠ .

[٥٨] هورخرونيه ، صفحات من تاريخ مكة ، ج٢، ص ٣٧٤-٣٧٥ .

[٥٩] صادق باشا ، الرحلات الحجازية ، ص ١٨٠.

[٦٠] انظر ملحق (٥) .

[٦١] حوار مع ماجدة بنت إبراهيم علي فالح الظاهري حفيدة الشيخ فالح الظاهري ، صفر ١٤٣٩هـ .

[٦٢] حوار مع ماجدة بنت إبراهيم علي فالح الظاهري حفيدة الشيخ فالح الظاهري ، صفر ١٤٣٩هـ .

والده في الزاوية السنوسية الموجودة في مدينة رابغ ليتعلم بها لقربها من بلدته[٦٣] .

وفي تلك الزاوية حفظ الشيخ فالح الظاهري القرآن الكريم ودرس مبادئ العلوم، وبعض المتون، وحتى يستأنف الشيخ تعليمه ويستزيد من العلم والعلماء ، انتقل إلى المدينة المنورة عام ١٢٦٨هـ /١٨٥٢م،والتحق بحلقات العلم في المسجد النبوي الشريف، وأخذ العلم من كبار علماء المدينة المنورة ، وفي المدينة المنورة التقى الظاهري بأستاذه الإمام محمد بن علي السنوسي[٦٤]، وتفرس فيه السنوسي الذكاء والنجابة فقربه منه ، ولازم الظاهري أستاذه منذ ذلك الوقت ورافقه سبع سنوات في حلّه وسفره،وحج معه ثلاث حجات، وقرأ عليه جملة من العلوم العقلية والنقلية، ، وسمع عليه الموطأ، والكتب الستة وغيرها من كتب الحديث الشريف ، كان الظاهري حسن الصوت شجيّ القراءة وكان الإمام السنوسي يحثه ويدعوه لحضور الحلقات ويعجب بصوته المتميز في القراءة ، وإذا تغيب الظاهري عن الحضور يوما ، أفتقده أستاذه السنوسي وسأل زملائه عنه ، ثم يرسل إلى والده سائلاً عن سبب تغيبه عن الحضور[٦٥] .

كان السنوسي يثني ويكرم الظاهري فقد ألبسه عرقية[٦٦]كانت على رأسه وقال له : اخرج إلى طلبة العلم علّمهم القرآن ، وكثيرا ما أشاد السنوسي به في مجالسه، مظهراً حبّه له بين أتباعه ، وكان يقول السنوسي عن الظاهري هو "ولدي ولدي ولدي ثلاثا ويربعها بقوله وعزيز علي"[٦٧].

درس الشيخ الظاهري على يد كوكبة من علماء عصره ، ومن أولئك المشايخ الشيخ عمر الياصلي ، والشيخ محمد الطاهر الغاثي، والشيخ أبي الحلم عبدالرحيم بن أحمد الزموري البرقي الذي درس على يديه الشعر والبلاغة ، كما درس على يد الأستاذ أبي علي العدوي الحمزاوي ، والشيخ عبدالغني الدهلوي صاحب اليانع الجني ، والشيخ عبدالرحمن الأهدل اليمني ، ونال من هؤلاء العلماء إجازات عامة في علوم شتى ، حتى تبحر في العلم، وصار مرجعاً فيه مما أهله للتدريس في المسجد النبوي الشريف[٦٨] .

سافر الظاهري إلى مصر عدة مرات كان أولها في عام ١٢٧١هـ/١٨٥٤م ، وفي مصر التقى بعدد كبير من علمائها ودرس عليهم وأخذ منهم الإجازات،

---

(٦٣) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني : فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، ج٢، بيروت : دار الغرب الإسلامي،١٩٨٢م ، ص٨٩٥ ، عبد الحفيظ محمد الطاهر الفاسي :معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة او المدهش المطرب ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م ، ص٢٣٣ ، فالح بن محمد الظاهري : حسن الوفا لاخوان الصفا ، دمشق : دار البشائر الاسلامية ،د.ت ، ص ٧٦ ، خير الدين الزركلي :الأعلام ، بيروت: دار العلم للملايين ،ج٦، ط١٤، ١٩٩٩م ،ص ٣٢٦ .

(٦٤) يذكر الصلابي ان الظاهري التقى بالإمام السنوسي في مكة المكرمة عام ١٢٤٣ولكن الراجح ماذكر في المتن وهو ماذكره الشيخ الظاهري بنفسه في تقديمه لكتاب المنهل العذب ، يُنظر احمد بك النائب الانصاري الطرابلسي المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ليبيا : مكتبة الفرجاني ، د.ت ، ص٣٩١ .

(٦٥) الظاهري ، حسن الوفا ، ص ١٣-١٤ ، ص٧١ ، الانصاري ، المنهل، ص٣٩٣ -٣٩١ .

(٦٦) العَرَقِيّة : مايلبس على الرأس تحت العمامة ليمتص العرق ، ينظر إبراهيم مصطفى واخرون : المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، ج٢،ص ٥٩٦

(٦٧) الانصاري ، المنهل، ص٣٩٣ -٣٩١ .

(٦٨) الظاهري ، حسن الوفا ، ص ٧٢- ٧٣ ، ص ٧٦، الفاسي ، معجم الشيوخ ، ص ٢٣٤ .

وكان منهم الشيخ عليش، والشيخ أبو علي الحسن العدوي ومحمد الشريف الدمياطي وغيرهم ، و قد استمرت رحلاته إلى مصر حتى كان آخرها عام ١٣١٣هـ /١٨٩٥م[٦٩] .

٢- مكانته العلمية :

درس الظاهري على يد علماء أفاضل فنال منهم العلم الوفير وحصل منهم على الإجازات العامة، فأصبح عالماً حافظاً وإماماً شهيراً، متبحرا في علم الحديث وفقه معاني الآثار ، عالماً بالحديث قولا واعتقادا ، له حظ وافر في العلوم الأدبية واللغوية ، حتى وصفه المترجمون عنه بالمحدث الحافظ الفقيه الأصولي اللغوي ، أما معاصروه فقد وصفوه بعدة ألقاب منها : شيخ المشايخ ،حجة عصره ،السند الحافظ الثقة المنطوق ، صاحب اليد الطولى في العلوم والفنون ، وقد استحق الشيخ الظاهري بجدارة لقب عالم المدينة ومحدثها ومسندها، وبقية ذوي الاسناد العالي فيها [٧٠] .

كان الشيخ الظاهري شاعراً وكان يعدّ على رأس الشعراء السنوسيين بل وإمامهم في الملكة الشعرية ، إذ إنه كان يمثل الطبقة الأولى منهم ، وامتاز شعره بأنه جزل في لغته، رصين في عبارته ، له ديباجات امتازت بفنون البلاغة من الترصيع والتجنيس والتورية وغيرها ، حتى وصف بإمام البلاغة ، له شاعرية صادقة ويسير على أثار الشعراء القدماء، ولكنه مقلّ في شعره ، ومعظم ما كتبه ضاع ، أما ما توفر من شعره فهي نماذج قليلة موزعة بين بعض الكتب من قصائد المدح والتهنئة والرثاء ، وكنموذج لقصائده قصيدة "حريق الغرام " :

قد بات دمعك في الآماق منضودا
من شادنٍ خالَفَ الإعلان موعودا
يسامرُ النجمَ ما تمضي أجنَّتُه
ويمتري أن يكون الغِمض موجودا
وللغرام حريقٌ في جوانحه
أعيا العواذل إخفاءً وتخميدا
ما للصبابة أمست لا تفارقُه
والشوقُ عن غيره قد بات مطرودا

إلى أن يقول :

نشدْتك الله يا من لستُ أذكرُه
إلا وظِلْتُ بنار الشوق موقودا
إلا تعمَّدْتَ وصْلي إنَّ وصلك لي
سِرٌّ يجاري فؤادًا فيك معمودا
إن زرتَ أحييت نفسًا حرةً اتخذت
محمدًا شافعًا والله معبودا [٧١]

---

[٦٩] الظاهري ، حسن الوفا ، ص ٧٢- ٧٣ ، ص ٧٦، الفاسي ، معجم الشيوخ ، ص ٢٣٤ .

[٧٠] الكتاني ، فهرس الفهارس ، ج٢ ، ص٨٩٥ ، الفاسي ،معجم الشيوخ ، ص ٢٣٣-٢٣٤ ، الظاهري ، حسن الوفا ٧٩-٨١ ، عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م ، ،ج٣، ص ٥٧٩ ، الزركلي ، الأعلام ، ، ج٦ ، ص ٣٢٦ .

[٧١] محمد طه الحاجري : دراسات وصور من تاريخ الحياة الادبية في المغرب العربي ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٨٣م ، ص ٣٠٧- ٣٠٩ ،الانصاري ، المنهل العذب ، ص ٣٨٩ .

وعندما همّ السنوسي بمغادرة الحجاز في أعقاب رحلته الأخيرة ، رافقه الظاهري إلى برقة ، وأقام فيها منذ عام ١٢٧١هـ /١٨٥٤م، وقد عاصر الظاهري أحداث بناء زاوية الجغبوب التي بنيت عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م ، وكان من طليعة من باشر التدريس في زاويتها، إذ غدت زاوية الجغبوب مقر السنوسية الأول في ليبيا [٧٢] .

وفي زاوية الجغبوب تزوج الشيخ فالح الظاهري من ابنة أستاذه السنوسي وأنجب منها علي وحفصة ،وكان مولدهما في واحة الجغبوب ، في حين تزوجت الابنة الأخرى للسنوسي من والد عمر المختار[٧٣] ، ودرس على يدي الشيخ فالح في واحة الجغبوب تلاميذ كثر ، ومن أشهر أولئك التلاميذ الذين التحقوا بهذه الزاوية عمر المختار، إذ مكث ثماني سنوات ينهل من علم الشيخ الظاهري في زاوية الجغبوب[٧٤].

لم تحدد معظم المصادر المدة التي مكثها الظاهري في الجغبوب وان كانت قد أشارت إلى أنه قضى بها زمنا طويلاً ، والشيخ الظاهري يذكر ذلك عندما يقول قضيت في طرابلس الغرب فترة شبابي، ولكننا نجد أن الحاجري انفرد بذكر المدة في كتابه وأشار أنه مكث بها أربعين عاماً [٧٥] ، مما يعني أن الشيخ الظاهري قد مكث في طرابلس الغرب من عام ١٢٧١هـ/١٨٥٤م وحتى عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، وذلك لأن السلطان عبدالحميد قد استدعاه في عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١م للتعليم بالأستانة ، ومن هذا نميل إلى أن الشيخ قد مكث في طرابلس الغرب ما يقارب تلك المدة ، وبالتالي فإنه حينما توجه إلى الأستانة كان مقيما آنذاك في ليبيا وليس في الحجاز .

أشرنا آنفاً إلى أنّ الشيخ فالح الظاهري كان مفخرة في العلم ، وقد ذاع صيته في الآفاق حتى استدعاه السلطان العثماني عبد الحميد إلى إسطنبول في عام ١٣٠٩هـ /١٨٩١م، وعين بأمر من السلطان مدرساً بالقصر السلطاني لقراءة الحديث الشريف ، وقد مكث الشيخ الظاهري في إسطنبول ما يقارب الست سنوات ، وفيها التقى بعدد من طلبة العلم ، وكان من أشهرهم المؤرخ أحمد النائب الأنصاري الطرابلسي وهو صاحب كتاب "المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب" وقد طلب من الشيخ الظاهري مراجعة كتابه والتقديم له ، كما التقى فيها بالمؤرخ محمد بشير ظافر المدني صاحب كتاب "اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة"[٧٦].

---

[٧٢] الحاجري ، دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية ، ص ٣٠٩ ، الصلابي ، الحركة السنوسية ،٩٦-٩٧، الزاوي ، أعلام ليبيا ، ص٣٤٦ ، الشريف ، الجواهر الاكليلة ، ص ، ٣٤٩ .

[٧٣] حوار مع ماجدة بنت إبراهيم علي فالح الظاهري حفيدة الشيخ فالح الظاهري ، صفر ١٤٣٩هـ .

[٧٤] الحاجري ، دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية ، ص ٣٠٩ ، الصلابي ، الحركة السنوسية ،٩٦-٩٧، الزاوي ، أعلام ليبيا ، ص٣٤٦ ، الشريف ، الجواهر الاكليلة ، ص ، ٣٤٩ .

[٧٥] الحاجري ، دراسات وصور من تاريخ الحياة الادبية، ص ٣٠٩ .

[٧٦] على مصطفى المصراتي : مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم ومناهجهم ، ليبيا : الدار الجماهيرية ، ط٢ ،٢٠٠٢م ، ص٢٨١-٢٨٣ ، الانصاري ، المنهل العذب، ص٣٨٩-٣٩١ ، محمد البشير ظافر الازهري : اليواقيت الثمينة في مذهب عالم المدينة ، القاهرة : مطبعة الملاحي العباسية ، ١٣٢٤ه ، ص٧ .

لم يرغب الشيخ الظاهري بالإقامة الطويلة في إسطنبول ، فقد ضاق من حياة القصور وما فيها من ترف لم يعهده الشيخ الذي اشتاق لحياة الانطلاق والحرية التي ألفها في البادية ، واشتدّ به الشوق والحنين إلى الحجاز التي طال غيابه عنها ، فسعى لدى المفتي ، وطلب منه التوسط له عند السلطان لإعفائه من هذا المنصب والإذن له بالعودة إلى المدينة المنورة ، فوافق السلطان على ذلك وأعفاه من منصبه وأعاده إلى المدينة المنورة عام ١٣١٤هـ /١٨٩٦م ومعه فرمان بتدريس علوم الحديث في المسجد النبوي الشريف مع تخصيص مرتب له ، وأمر بصرف مقدار من الحنطة له سنويا [٧٧]. وعندما عاد إلى المدينة المنورة استقبله أهل المدينة بالحفاوة والترحيب، وأقام له الشيخ عبدالجليل برادة حفلا ترحيبي حضره عدد من علماء المدينة وأعيانها، وقد رحب به بهذه الأبيات :

يوم لطيبة من أيام ماضيها
لما حدا بورود البشر حاديها
قد فوه السعد والإقبال مرتجلاً
بعودة العالم النحرير تنويها
قدوم يمن على دار الرسول بدا
بفالح الظاهري الفذّ يرضيها
راو الحديث أبو اليسر الذي نضحت
أقلامه بحديث المصطفى فيها
أبى على نفسه النعماء ضافية
يجدها في قصور الملك حاويها
وطيب العيش لا يحلو لذي ولع
فالعلم خير من الدنيا وما فيها

ورد عليه الشيخ الظاهري مرتجلا :

ماذا أقول ورب القول شاديها
ضيافة جمعت أرواح شاديها
ملكت كل معاني الشعر مانحبست
عني موارده من ذا بدانيها
حبي لطيبة حب ليس يعدله
حب القصور ولا الدنيا وما فيها
فلست أبغي بها دار السعادة إذ
كل السعادة في أكناف واديها
هذا اعترافي بما أوليتني منئًا
يضيق طريق بياني عن معانيها[٧٨]

وبعدما استقر الشيخ الظاهري في المدينة عاد للتدريس في المسجد النبوي الشريف، وهرع العلماء والطلاب ينهلون من علمه وأدبه والتفوا حوله ، حتى كانت حلقته من أكبر حلقات المسجد، واجتمع حوله طلبة العلم من مشارق الارض ومغاربها ، ومن تلاميذه الذين تلقوا عنه الشيخ إبراهيم بري، الشيخ

[٧٧] محمد سعيد دفتردار ، العلامة الشيخ أبو اليسر فالح الطاهري ، جريدة المدينة المنورة ، س ٢٥ ،ع ٩٠٢، ٢٧ربيع الثاني ١٣٨٠ه/١٨ أكتوبر ١٩٦٠م ، الصلابي ، الحركة السنوسية ، ص٩٦ ، انس يعقوب الكتبي ، اعلام من ارض النبوة ، ط ١ ، المدينة المنورة : الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة ،١٤٣٧ هـ ، ص ٤٤٦ .

[٧٨] الكتبي ، اعلام من ارض النبوة ، ص ٤٤٦-٤٤٨ .

زكي برزنجي ، الشيخ خليفة بن حمد النبهاني، والشيخ محمد عبدالباقي اللكنوي ، الشيخ عبدالحي الكتاني ، محمد جعفر الكتاني، الشيخ عبدالحفيظ الفارسي وغيرهم[٧٩]، وتزوج بعد عودته للمدينة المنورة من مريم بنت عبدالرحمن البوسعادي وهي جزائرية مقيمة في المدينة المنورة وانجب منها بكر[٨٠] ، في حين زوج ابنه البكر علي[٨١] من فاطمة البوسعادي اخت زوجته[٨٢] .

استمر الشيخ الظاهري في التواصل مع إخوانه السنوسيين في ليبيا ، وكان يرسل إليهم قصائد تحمل شوقه وحنينه لهم، ومن ذلك قصيدة سرى طيفكم ، والتي كان مطلعها :

سرى طيفكم ليلاً فما تاه في المسرَى
على بعد ما بين الجغابيب والحمرا
عجبت له أنَّى اهتدى لي وبيننا
مهامِهُ ينبو الوهْم عن جعْلها مسرى
أأحبابنا والله ما غيَّر النوى
ودادي ولا أخلَتْ بلادي لكم ذكرا
أهش لريح «الجرْبياء» إذا سرَتْ
وإن أضرمتْ في القلب من شوقكم جمرا [٨٣]

وذُكر أن الشيخ فالح بعد فترة من عودته من إسطنبول سافر إلى الهند واشتغل بالتدريس فيها ، واستندوا في ذلك على رسالة أرسلها الشيخ الظاهري لصديقه الشيخ أحمد الريفي قال فيها " بعد قدومي من البلاد الرومية حصل لي من إفادة العلوم غطوس ما أفقت منها إلا وأعضائي بها خلل من طول الجلوس لكني ولله الحمد حصلت على تبليغ العلم إلى أهله غاية الإرب ، ولم يبق قطر من الأقطار إلا وحمل عني إليه دفتر (مفالحة) شيخنا الأستاذ وهذا أقصى أمنيتي من كوني جعلت في الخافقين لشيخنا المذكور على صيت حتى في الهند والسند "[٨٤] ، ومن خلال التأمل في ذلك النص لا تجد الباحثة إشارة صريحة على أن الشيخ قد سافر بنفسه للهند، ولذلك ترجح أن المقصود هو انتقال أفكار الشيخ وعلمه إلى الهند وليس انتقاله بشخصه إليها .

ألف الشيخ فالح الظاهري عدداً من المؤلفات والتصانيف تشهد بطول باعه في العلم والتأليف، منها :(حواشي صحيح البخاري وموطأ مالك في عدة

---

[٧٩] الظاهري ، حسن الوفا ، ص ٨٢ ، زيدان ، بقية الناس فالح الظاهري ، صحيفة المدينة المنورة ، مكتبة إبراهيم بن علي الظاهري حفيد الشيخ فالح الظاهري ، دفتردار ،العلامة الشيخ أبو اليسر فالح الطاهري ، جريدة المدينة المنورة ، س ٢٥ ،ع ٩٠٢، ٢٧ربيع الثاني ١٣٨٠ه/١٨ أكتوبر ١٩٦٠م .

[٨٠] غادر بكر بن فالح الحجاز وله من العمر ستة عشر عاما ، وقيل إنه اتجه لمصر وقيل إلى المغرب ، حوار مع ماجدة بنت إبراهيم علي فالح الظاهري حفيدة الشيخ فالح الظاهري ، صفر ١٤٣٩هـ .

[٨١] كان علي بن فالح الظاهري من أشهر العلماء في عصره ، فقد أهتم والده بتربية وتعليمه العلوم الشرعية وأتم حفظ القران الكريم ، وكانت له حلقة في المسجد الحرام يعلم فيها طلبة العلم العلوم الشرعية ، كما كان يعقد حلقات أخرى في منزله الخاص ، وكان الشيخ علي بن فالح يقوم بنسخ الكتب لعدد من علماء الحرمين الشريفين ، وقد توفي في مكة المكرمة عام ١٣٦٤هـ ، حوار مع ماجدة بنت إبراهيم علي فالح الظاهري حفيدة الشيخ فالح الظاهري ، صفر ١٤٣٩هـ . انظر ملحق(٦) .

[٨٢] انجبت فاطمة البوسعادي له محمد وست بنات ، وبعد وفاتها تزوج علي من منى بنت مهنا الظاهري وانجب منها إبراهيم وبنتين، حوار مع ماجدة بنت إبراهيم علي فالح الظاهري حفيدة الشيخ فالح الظاهري ، صفر ١٤٣٩هـ .

[٨٣] الصلابي ، الحركة السنوسية ،٩٦-٩٧، الحاجري ، دراسات وصور من تاريخ الحياة الادبية، ص ٣٠٩ ، الزاوي ، اعلام ليبيا ، ص٣٤٦ .

[٨٤] الصلابي ، الثمار الزكية ، ص ٧٦-٧٧ .

مجلـدات) ، ومنظومــة فــي (مصــطلح الحــديث)، و(حسن الوفا لإخوان الصفا)، و(صحائف العــامل بالشرع الكامل)، و كتاب (أنجح المساعي في الجمع بين صفتي السامع والواعي) و(شيم البارق من ديم المهارق) وتعليقات على (المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب)وغيرها[٨٥].

٣-وفاته :

كـان الشيخ فالح الظـاهري مشتغلا بـالعلم طوال حياته ، منصرفا لتعلمه وتعليمه ، وصف بأنه واسع الادراك ، طيـب الـنفس ، عـالي الهمـة ، متواضـعا، محبـا لطـلاب العلـم ، ملازمـا للعبـادة وتـلاوة القـران الكريم ، وقضى حياة حافلة بالجد والمثابرة في سبيل خدمة العلم والدين ، حتى وافته المنية في شهر شوال عـام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م ، بالمدينــة المنــورة ، عــن عمـر ينـاهز السـبعين عامـاً، ودفـن فـي مقبـرة البقيـع [٨٦].

الخاتمة

جـاءت الحركـة السنوسية وليدة لمتطلبـات العـالم الإسـلامي فـي ذلـك الوقـت ، وبـهذا دخلـت التـاريخ الإسلامي كإحدى الحركات الإسلامية المؤثرة، حيث سـاهمت وفـق إمكانياتهـا المتاحـة فـي بنـاء مجتمـع إنسـاني تتـوفر لـه مقومـات ثقافيـة واقتصـادية وفـق معطيـات ذلـك العصـر ، ولـم تكـن الحركـة محليـة النزعة، بل عمل مؤسسها محمد بن علي السنوسي على أن تكون حركـة عربيـة التـأثير واسـعة الامتداد، تعمـل علـى نهضــة الأمــة الإسـلامية فـي أقطارهـا المختلفة.

وقد سعت هذه الدراسة إلى تدوين حقبة هامة من تاريخ الحركة السنوسية في الحجاز ، وحاولت إماطة اللثام عن دورها في المجتمع الحجازي وتأثيرها عليه. ومن أهم النتائج التي رصدت في ثنايا هذا البحث:

* أنّ من أهم الأسس الفكريـة التـي اعتمدت عليهـا الحركة السنوسية تميزها بالشمولية بمعنى أنها حركة متكاملة تتناول الإصلاح العام على الصعيد الديني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وهي في الوقت ذاتـه تمتـاز بشـموليتها لجميـع المسلمين فهـي ليسـت محـدودة النطـاق ، بـل إن الإمـام محمـد بـن علـي السنوسـي كـان يؤمن بضـرورة نشـر حركتـه فـي كافـة الأقطـار الإسلامية .

* أن الحركـة السنوسـية لـم تكـن حركـة دينيـة فحسـب بـل هـي حركـة سياسـية وثقافيـة واجتماعيـة واقتصـادية واسـعة التأثير.

[٨٥] الفاسي ، معجم الشيوخ ، ص ٢٣٤، كحالة ، معجم المؤلفين ،ج٣، ص ٥٧٩ ، الزركلي ،الاعلام ،ج٦، ص ٣٢٦،يوسف اليان سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ،ج٢ ص١٤٣٣، المصراتي ، مؤرخون من ليبيا، ص٢٨٤ .

[٨٦] الزركلي ، الأعلام ،ج٦، ص ٣٢٦، كحالة ، معجم المؤلفين ،ج٣، ص ٥٧٩ ، محمد سعيد دفتردار ،العلامة الشيخ أبو اليسر فالح الطاهري ، جريدة المدينة المنورة ، س ٢٥ ،ع ٩٠٢، ٢٧ربيع الثاني ١٣٨٠ه/١٨ أكتوبر ١٩٦٠م ، الكتبي ، اعلام من ارض النبوة ، ص ٤٤٩ .

* أن سياسية عدم المواجهة مع الاتجاهات والتيارات الإسلامية ، والابتعاد عن المجادلات الفقهية والعقدية مع المعارضين لها، تعدّ من سمات الحركة السنوسية فقد حاول السنوسي تجنب الصدام مع معارضيه من علماء مصر والحجاز، مما ساهم في انتشارها .

* حرص السنوسي على نشر دعوته في أرجاء العالم الإسلامي ، فعمل على إنشاء الزوايا السنوسية في أماكن متفرقة كالحجاز ومصر والمغرب والسودان وغيرها من الجهات الإفريقية ، وذلك حتى يوحى إلى أتباعه ومراقبيه بشمولية حركته وعدم محدوديتها وتلازمها لمكان معين.

* استطاعت السنوسية أن تطور مفهوم الزوايا حتى اختلفت من حيث الشكل والمضمون عن غيرها، فأصبحت الزوايا السنوسية تمثل مجتمع له سلطة سياسية ويحكمه قائد وله قوانين ، وله حقوق وعليه واجبات ، كما قدمت الزوايا السنوسية لسكانها خدمات ثقافية واجتماعية واقتصادية .

* حظيت منطقة الحجاز بحكم أهميتها الدينية بمكانة بارزة في تاريخ الحركة السنوسية ، بل إن البداية الفعلية للدعوة السنوسية انطلقت من الحجاز، ففيها بنيت أول زاوية سنوسية ، وهي الزاوية التي بنيت في جبل أبي قبيس ، ثم توالى إنشاء الزوايا السنوسية في الحجاز، وفي بقية الأقطار الإسلامية الأخرى.

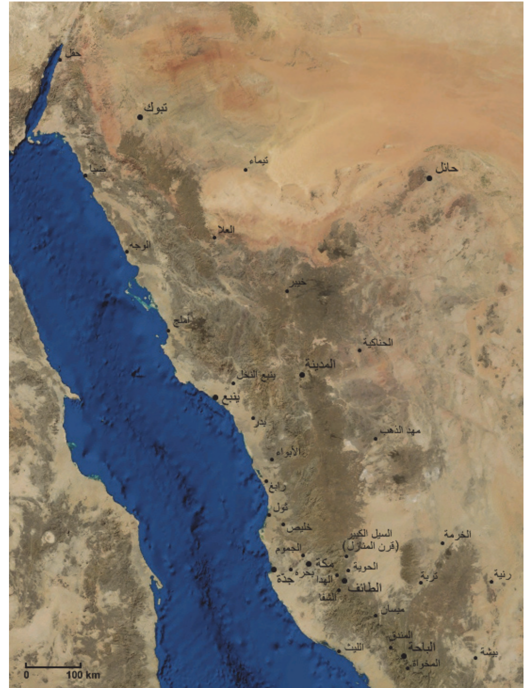
* حظيت الزوايا السنوسية بإقبال عدد كبير من الحجازيين من الحاضرة والبادية، فقد انخرط في تلك الزوايا عدد كبير من أبناء القبائل الحجازية وعلى رأسها قبيلة حرب كبرى تلك القبائل .

* لم تتعرض الزوايا السنوسية في الحجاز لأي عقبات سياسية ، بل على العكس حظيت بقبول ومساندة من أشراف مكة ، مما ساهم في نشأت الزوايا السنوسية في قرى ومدن حجازية عديدة .

* لقد لعبت الحركة السنوسية في الحجاز دوراً واضحاً في تاريخ منطقة الحجاز، فقد حاولت النهوض بالحجازيين، ونشر التعليم الديني بين قبائلهم بصورة خاصة ، ولم يكن دورها دينيا فحسب ،بل قامت الزوايا السنوسية بتعليم أبناء الحجاز مهارات الكتابة والقراءة والحساب وغيرها ، ومن جهة أخرى شجعت الزوايا السنوسية تلاميذها على العمل وتعلم الحرف والمهن ، مما ساهم في استقرارهم اجتماعياً واقتصاديًا ، وغدت الزوايا السنوسية مراكز للعلم والعمل .

* يعد الشيخ فالح الظاهري من أبرز تلاميذ الزوايا السنوسي، وأصبح فيما بعد من أبرز مشايخها ، وذاع صيته في الآفاق ، وحظي بمكانة علمية مرموقة أهلته للتدريس في مناطق إسلامية عديدة حتى استدعاه السلطان عبدالحميد للتدريس في الأستانة، وقد تخرج على يديه عدد من طلبة العلم الذين حملوا راية العلم في العالم الإسلامي.

الملاحق



ملحق (١)

المدن الحجازية



ملحق (٢)

مسجد الكاتبية أو مسجد السنوسية بالمدينة المنورة

أحمد ياسين أحمد الخياري : تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا.



جدة / مسجد السنوسي بحارة اليمن و كان مجاوراً للمستشفى العام و له أوقاف الوقف بيت مسعود و قد أزيل مع بيوت أخرى

ملحق (٣)

مسجد السنوسية بجدة






ملحق (٤)

مسجد السنوسية في ينبع البحر

تم تجديده مؤخرا عام ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م

تصوير الباحثة



الملحق (٥)
الشيخ فالح الظاهري
من مقتنيات احفاد الشيخ فالح الظاهري



الملحق (٦)

الشيخ علي بن فالح الظاهري

من مقتنيات احفاد الشيخ فالح الظاهري

The Senussi movement and its role in the Hijaz Sheikh Falih Al – Dahri (1258 / 1842 – 1328 /1910)

DR: Manal AL- Muraiteb
King Abdulaziz University

Abstract. This study deals with the influence of the Senussi movement in the Hijaz region, which is considered one of the influential Islamic movements. It contributed in accordance with its available possibilities in building a human society with cultural and economic components according to the data of that era. The movement was not of a local tendency, Muhammad Bin Ali Alsenossi, the one who established this movement, worked on making it an Arabic movement of a wide expansion, this study sought to codify an important period of the history of the Senussi movement in the Hijaz, and tried to reveal its role in Hijazi society and its influence on it.

By virtue of its religious importance, the Hijaz region has gained prominently in the history of the Senussi movement. The actual beginning of the Sinusian call originated from the Hijaz, where the first corner of Senussi was built, the corner that was built in Jabal Abi Qabis, and then the construction of the Senussi corners in the Hijaz, and in the rest of the other Islamic countries, and the corners of Senussi received a large number of Hijaz people from the rurals and the desert, Sheikh Falih Al.Dahri , considered as a prominent student of senussi corners, And later became one of its most prominent sheikhs, and became famous in the horizons, and received a prestigious scientific status, which enabled him to teach in many Islamic regions even called by Sultan Abdul Hamid to teach in Astana, and has graduated a number of students of science who carried the banner of science in the Islamic world.